أثر دراسة التاريخ الإسلامي في قيمة العدالة

عصر الولاة في مصر نموذجا

إعداد الدكتور:

أبوبكر محمود عبدالعال جبالي

دكتوراه في التاريخ الإسلامي، وإمام في أوقاف القاهرة

١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م

ملخـــــص

العدالــة في الإســلام قيمــة مطلقــة، لا تنظــر لجــنس دون جــنس أو ديــن ولــون دون آخــر، وكــان التطبيــق الإســلامي للعدالــة مــع غــير المســلمين في مصر نموذجــا يحتــذى، والوقــائع التاريخيــة ثابتــ ة وموثقــة عــلى أن العدالــة بــل والإحســان كــان متجســدا في تعــاملات الــولاة المســلمين مــع قــبط مصر الــذين بقــوا عــلى ديــنهم؛ فلــم يكــن ذلــك حــائلا دون تــوليهم المناصــب وتكــوينهم الثروات.

وأذكــر في هــذا البحــث صــورا متعــددة لهـ ـذه العدالــة مــع غــير المســلمين في مصر وقــد التزمــت في بحثــي المــنهج العلمــي المتبــع ، وحرصــت عــلى توثيقــه مــن المصــادر التاريخيــة المعتمــدة القديمــة والحديثــة ، وبيــان وجــه الاســتفادة مــن الأحداث التاريخية .

The Impact of Studying Islamic History on the Value of Justice

The Era of Governors in Egypt (A Model)

By: Dr. Abu Bakr Mahmoud Abdel-Al Gebaly
A PhD. in Islamic History&
An Imam in the Egyptian Ministry of Awqaf.

Abstract

Justice in Islam is an absolute value. It does not subject to gender, religion or color. The Islamic application of justice with non-Muslims in Egypt remained a due example since the historical incidents are fixed and documented where the justice and good treatment were embodied in the transactions of Muslim governors with the Coptic people who remained true to their religion. This decision did not prevent them from having jobs, positions, making money or collecting wealth.

The researcher has exposed various images of justice with the non-Muslims in Egypt. He has followed the scientific approach in this research. He is so keen on documenting the identified ancient and modern resources showing how he benefited from the historical incidents.

Key Words: justice, Islamic history, the era of governors, the Coptic people of Egypt.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــه

إن الحمد لله، أحمده، واستعين به، وأستهدي به، وأعوز بالله من شر نفسي، ومن سيئات أعمالي، إنه من يهديه الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.... وبعد،

فقد أحسنت صنعا كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) ــ كليتي العامرة بإذن الله تعالى أبد الدهر ــ أحسنت إذ جعلت عنوان مؤتمرها (العلوم الإسلامية ودورها في ترسيخ القيم الإسلامية) إذ إن مقصد كل العلوم الإسلامية تهذيب الخلق على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع، بل إن تهذيب الخلق هو غاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1] ، ولذلك فإن العلوم الشرعية تتكامل، وتتناغم كي تؤدي دورا اجتماعيا مهما.

ومن هذه العلوم التي يظن البعض أنها بمعزل عن القيم الاجتماعية علم التاريخ الإسلامي، والحق أن دراسة التاريخ الإسلامي تفيدنا في جوانب متعددة، فضلا عن الجانب المعرفي .

وسأعرض في بحثي بعض صور العدالة مما في عصر الولاة في مصر (٢١هـــ٢٥٤)

ولن استطرد في ذكر أثر دراسة التاريخ الإسلامي في ترسيخ القيم المجتمعية والأخلاقية، فأثرها أكثر من أن يحصر.

وقد نشطت في هذا البحث بدراسة (أثر دراسة التاريخ الإسلامي في قيم العدالة ـ فتح مصر نموذجا ـ) وقد ألتزمت في بحثي المنهج العلمي المتبع، وحرصت على توثيقه من المصادر التاريخية المعتمدة القديمة والحديثة ، وبيان وجه الاستفادة من الأحداث التاريخية .

وقد قسمت بحثي إلى مقدمه وثلاثة محاور وخاتمة

---

(١) ـــ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ/): مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ،نشر مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ،حكمه صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث. وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٢٧٣) .

المحور الأول

معنى العـدل وأدلتـه

العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدول، وبسط الوالي عدله ومعدلته. وفي أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلا[1]

وقيمة العدالة وردت في الحض عليها آيات قرآنية كثيرة ـ وقد استمدت كل العلوم الإسلامية من القرآن الكريم ــ نذكر بعض منها حتى نرى العدالة ظاهرة جلية

الله سبحانه أمر بالعدل على العموم شامل لكل الأمور، فالعدالة ليست في القضايا والمنازعات فقط فالعدالة تلزم للإنسان في كل أموره، بل تلزم في كل جوانب الحياة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ النحل: ٩٠

إن الله يأمر بالعدل يعني التوسط في الأمور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر، وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب، وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ

---

(١) ــ ابن منظور(محمد بن مكرم الأفريقي المِصْري) ت٧١١هـ/ ١٣١١م: لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط أولى ، ج ١١، ص ٤٣٠.

(٢) ــ البيضاوي:(ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (٦٨٥هـ) :أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ،ج ٣، ص ٢٣٨

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾

المائدة: ٨

وتوضح هذه الآية كيف يعيش المؤمنون بالقسط الذي هو عين العدل ولا تجعلهم كراهية قوم أن يظلموهم ، ثم يأمر الله المؤمنين بصيغة الأمر الجازمة اعدلوا ، طبقوا العدل ، فالعدل هو أقرب للتقوى التي هي خشية الله تعالى ، والخوف منه ، ثم في النهاية الله خبير بعملكم ، وقد نزلت هذه الآية في يهود خيبر، وقد أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ــ وقيل في يهود بني قنيقاع وهذا ما يدل عليه ــ ، قال عبد الله بن كثير: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود يستعينهم في دية، فهموا أن يقتلوه، فذلك قوله: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا" ... الآية. ـ

يعني بقوله جل ثناؤه: اعدلوا" أيها المؤمنون، على كل أحد من الناس وليا لكم كان أو عدوا، فاحملوهم على ما أمرتكم أن تحملوهم عليه من أحكامي، ولا تجوروا على أحد منهم.

"هو أقرب للتقوى" فإنه يعني بقوله: "هو" العدل عليهم أقرب لكم أيها المؤمنون إلى التقوى، يعني: وإذا طبقتم العدل كنتم من أهل التقوى، وهم أهل الخوف والخشية من الله وهؤلاء يخافون أن يخالفوا الله في شيء من أمره، أو يأتوا شيئا من معاصيه. فمن كان جائرا كان لله عاصيا، ومن كان لله عاصيا، كان بعيدا من تقواه[1].

والعدالة كلمة تدل على معنى جميل، وحتى تكون محسوسة موجودة يلزم أن يطبقها الخلق وهؤلاء يطلق عليهم (عدول) أو أصحاب العدل، وهؤلاء هم فقط أصحاب الحق في قبول شهادتهم في المنازعات، إذ جعلوا هذه الشهادة خالصة لله تعالى سالمة من الأغراض.

(١) ــ الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١٠ ، ص ٩٦.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ الطلاق: ٢

{ذوي عدل منكم} أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدا لباب المخاصمة، {وأقيموا} أيها الشهداء {الشهادة لله} أي: ائتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده ولا تراعوا بها قريبا لقرابته، ولا صاحبا لمحبته[1]

بعض الأحاديث النبوية تحض على قيمة العدالة: ـ

وقد وردت في السنة النبوية أحاديث شريفة تحض على العدالة وتنفر من الجور والظلم

ويوضح الحديث التالي أن الإمام العادل له جزاء عظيم يوم القيامة وهو القرب من الله تعالى.

* (عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسا: إمام جائر»)[2] .

ثم يوضح الحديث التالي حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على العدالة، وأنه مثال العدالة، وأنه في قسمة الغنائم طبق العدل، ورغم ذلك اعترض عليه أحدهم، لكن رسول الله تأسى بذكر موسى عليه السلام، وما جرى له من قومه وأنه صبر عليهم، لذا صبر رسول الله على مقولة الرجل.

- (عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه

(١) ــ السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ،ت ١٣٧٦هـ) :تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، ج ١، ص ٨٦٩.

(٢) ــ الترمذي (محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ،أبو عيسى،ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت،سنة ١٩٩٨ م ، ج ٣، ص ١٠ ، رقم ١٣٢٩ .

وسلم أناسا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب فاثرهم يومئذ في القسمة. قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته فأخبرته.

فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى. فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»)[1]

ويروي جابر بن عبد الله الحديث السابق مختصرا وفيه زيادة أن عاقبة الظلم وعدم العدالة الشقاء.

(عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل: اعدل. قال: «لقد شقيت إن لم أعدل»[2].

والعدل مطلوب في كل وقت، ويتأكد طلبه عند الحكم بين الناس في المنازعات، ويوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ويأمر به؛ فيقول عن أنس قال:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله

(١) ـــ البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٢هـ،كتاب فرض الخمس ،باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ج٤ ، ص ٩٥، رقم ٣١٥٠

(٢) ـــ البخاري : صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، ج٤، ص ٩١، ٣١٣٨.

- عز وجل - محسن يحب المحسنين»[1]

ويبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم المقسطين الذين يعدلون في الحكم أنهم يوم القيامة على منابر من نور، عن زهير: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[2].

والظلم عاقبته خراب المدن العامرة ، والعدل عاقبته عمران المدن واستمرارها

عن عبد العزيز قال: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالا يرمها به فعل، فكتب إليه عمر: أما بعد، قد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم، فإنه مرمتها والسلام "[3]

ويشرح ابن تيمية ذلك بقولة: ـ

(أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل.. أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، ولهذا قيل: إن

---

(١) ــ الهيثمي (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، ت ٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ج٥، ص ٩٥، رقم ٣١٥٠.

(٢) ــ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ / ٨٧٥م: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج٣، ص ١٤٥٨، رقم ١٨٢٧.

(٣) ــ الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ت٤٣٠هـ):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها ، دار الكتاب العربي - بيروت، ج٥، ص ٣٠٥

الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام). وذلك أن العدل نظام كل شيء[١]

وفي النهاية فإن عاقبة الظلم خاصة إذا كان صاحب عهد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حجيجه

قال رسول الله ﷺ (من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢].

(١) ـ ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، ت٧٢٨هـ): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ص٢٩

(٢) ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم ٣٠٥٢، ج٣، ص١٧٠.

المحور الثاني

عدالة المسلمين في فتح مصر

العدالة من مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، ولا يمكن أن يقال أن سياسة الدولة الإسلامية في العدالة و التسامح بأنه مسألة سياسية.

وهناك درجة فوق العدالة وهي الإحسان الذي أوصى به رسول الله ﷺ وصية خاصة بأقباط مصر (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرْ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا) (١)

وكذا القائد والفاتح عمرو بن العاص ﷺ وصىَّ جنده قائلاً لهم: - (استوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم))(٢).

وزيادة على ذلك فإن بطرك الأقباط كتب إلى أهل مصر القبط بنهاية دولة الروم، وبلا شك فقد سمع عن عدالة المسلمين، وقد ذاق ظلم البيزنطيين، فأمر الأقباط بحسن استقبال جيش المسلمين.

وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي

(١) ـ مسلم : صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب" وصية النبي بأهل مِصْرْ،ج٤ ص١٩٧٠.

(٢) ـ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المِصْري) ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م: فتوح مِصْرْ وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.ص ٢١٩؛ ابن عساكر، ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي) ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ومن حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، بدون، ١٩٩٥م ،ج٤٦،ص١٦٣.

عمرو. فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا[١].

وهذا مما جعل أقباط مصر يرحبون بالمسلمين، بل جعلهم يشاركون في الفتح الإسلامي الأول لمدينة الإسكندرية، وتحمسوا للجيوش الإسلامية، ونظروا إلى المسلمين باعتبارهم مخلصين لهم من ظلم البيزنطيين، يقول ابن عبد الحكم:(وكان مع الجيش جماعة من رؤساء القبط يصلحون الطرق ويقيمون الأسواق) [٢] بنصه.

ولضمان العدالة وإعادة السكينة إلى أهل مصر رفع القائد عمرو بن العاص ﷺ المظالم عن مدينة الإسكندرية، وأول هذه المظالم إعادة البطرك بنيامين إلى منصبه على رأس كنيسة الإسكندرية

عندما علم عمرو بن العاصﷺ بقصة بطرك الإسكندرية بنيامين[٣] الذي هرب من اضطهاد

---

(١) ـ ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٨٠

(٢) ـ ابن عبد الحكم، فتوح ، ص ١٥٥؛ المقريزي، المقريزي(تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م:المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠٠٢،ج١، ص ٤٤٢.

(٣) ــ الأنبا بنيامين هوالبطرك الثامن والثلاثون لكنيسة الإسكندرية (٦٢٢ ـ ٦٦١م / ١ ق.هـ - ٤٠هـ):ـ كان سليل عائلة غنية من أهل البحيرة، باع كل ماله وألتحق بدير من الأديرة القريبة من الإسكندرية رسم كاهناً ثم عُين سكرتيرا خاصا لبابا الإسكندرية الذي أوصى باختياره خليفة له،وفي أيامه جاء"قيرس"واليا فهرب بنيامين واختفي في إحدى الأديرة بالصعيد حتى أرسل عمرو رسالته فرجع،واهتم بالأديرة التي خربت فأصلحها.انظر:-النَقْيُوسْي (يوحنا) عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي :ـ تاريخ مِصْرْ،ترجمة عمر صابر،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ،القاهرة٢٠٠٠م ، ص٢٢٠؛ ساويرس بن المقفع، ـ ساويرس بن المقفع (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)مخطوطة مطبوعة تاريخ البطاركة الواردة في تاريخ مِصْرْ ، إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين ، مكتبة مدبولي ،ط أولي ،سنة ٢٠٠٦م ،ج١، ص٥٦٣ـ

الروم . أرسل عمرو رسالة معلنة مفتوحة فيها كتاب أمان حيث ما كان في نواحي مصر إلى البطرك بنيامين:

(الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمناً مطمئناً، ويدير حال بيعته، وسياسة طائفته) (١).

وبذلك طبق العدل ورفع الظلم عن البطرك المطارد من البيزنطيين الظالمين، ولذا لما عاد ودخل مدينة الإسكندرية وسط فرحة المصريين، سار إلي كنائسه وزارها كلها، واستقبله عمرو بن العاص وأكرمه وطلب منه أن يباشر رعاية مصالح القبط من أهل مصر ومنحه عمرو ﷺ الحرية التامة ليشرف على الكنائس وأحوال الأقباط وجدد ما كان هدمه هرقل ملك الروم(٢). فسادت الطمأنينة وهدأت الأحوال في الإسكندرية ومصر.

وميزان العدالة وضعه الخليفة الفاروق عمر ﷺ ، فلا فرق عنده بين حاكم ولا محكوم في تطبيق العدالة والقصاص، وقدوته رسول الله ﷺ الذي اقتص من نفسه ﷺ (٣)

٦٣٦؛ منسى يوحنا:تاريخ الكنيسة القبطية ،مكتبة المحبة ، القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٩٠ـ ٢٩١؛ إيريس حبيب المصرى:قصة الكنيسة القبطية من سنة ٤٣٥م ــ٩٤٨م،الكتاب الثاني،مكتبة كنيسة،ص١٧٧ـ ١٨٩ .

(١) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركه، ج١،ص ٥٨٣ .

(٢) ـ يوحنا النقيوسي، تاريخ مصر، ص٢٢٠؛ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج١، ص ٥٨٣، ج٢، ص ٢؛ ١٨٨.

(٣) ـ عن حبان بن واسع، عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار قال: وهو مستل من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه، وقال: «استو يا سواد»، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالعدل، فأقدني

عن أبى فراس، أن عمر بن الخطاب خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس ألا إني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم ويعلموكم سننكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ولا يأخذوا أموالكم، ألا فمن أتى إليه شيء من ذلك فليرفعه إلى، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: أرأيت يا أمير المؤمنين إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيته فأدب رجلا من رعيته إنك لمقصه منه؟ قال: نعم، والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه، ألا أقصه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تجمروا بهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم.

وطبق الفاروق عمرﷺ كلامه عندما حضر لديه رجل من أهل مصر يشكو ابن فاتح مصر عمرو بن العاص، فحكم للمصري واقتص له.

فقد جاء رجل من أهل مصر عن أنس إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربنى بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه،

قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «استقد» قال: يا رسول الله إنك طعنتني وليس علي قميص قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: «استقد» قال: فاعتنقه، وقبل بطنه، وقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير).

ابن منده (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، ت٣٩٥هـ): معرفة الصحابة، الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري،الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج٣، ص ١٤٠٤، رقم ٣٥٥٠

فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ قال يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني[1].

قيمة العدالة وتطبيقها في حياة قبط مصر: ـ

والعدالة في كل المجالات، والأحوال، ومنها جانب الضرائب وأموال دور العبادة فقد حافظ عليها المسلمون من السلب والنهب الذي يحدث في وقت الحروب.

و هذه المصادر التاريخية القبطية وفيها أن المسلمين حافظوا على أموال الأقباط ومقدساتهم ولم يتعرضوا لها، يشهد بذلك الأسقف المصري يوحنا النقيوسي إذ يقول: (وكان عمرو يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددوها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس ولم يرتكب شيئا ما، سلباً أو نهباً، وحافظ عليها طوال الأيام)[2]

وهي شهادة لا تـُجرّح من مؤرخ مصري مسيحي يعتبر شاهد عيان على أحداث الفتح، وتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن تعاون المصريين مع العرب كان نتيجة رغبتهم في الدخول تحت سيادة الدولة الإسلامية، وأن ينعموا بالعدالة.

وبدخول المسلمين مصر تغيرت الحالة المذهبية في كنائس مصر بعودة البطرك بنيامين إلى كرسيه في مدينة الإسكندرية مما أدى إلى غلبة اليعاقبة المضطهدين على كثير من الكنائس

(١) ــ ابن عبدالحكم : فتوح ، ص ١٩٤ــ١٩٥

(٢)ـ النَقْيُوسْي :ـ تاريخ مِصْرْ، ص ٢٢٠؛ وانظر كرم الصاوي باز ، مصر والنوبة في عصر الولاة، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ٢٠٠٦م ، ص ٢٧ ـ ٣٢

وانفرادهم بها دون الملكية، وزادت مكانتهم في ظل الحكم الإسلامي [١].

وهناك مسجد الرحمة الذي بُني بعد الفتح الثاني سنة٢٥هـ/ ٦٤٥م لمدينة الإسكندرية، وسمي بمسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هناك[٢]، ومكان المسجد الآن بحديقة الشلالات مكان الضريح المعروف باسم سيدي يحيى، وهو من مساجد الإسكندرية في النصف الأول من القرن الأول للهجرة[٣].

وكان القبط و بطركهم يشدون من أزر العرب ويظهرون الود[٤]. ويعلل بتلر ذلك بقوله : وليس لهم فعل غير ذلك وإلا فكأنهم يسعون إلى وضع أيديهم في أغلال الروم خاصة وذكريات قيرس وظلمه لهم مازالت منقوشة على قلوبهم[٥]، وذلك لما استولى الروم على الإسكندرية بعد الفتح الأول ، فقد خبروا الروم البيزنطيين وظلمهم ، وشاهدوا المسلمين وعدلهم ، بل زيادة على ذلك فقد عتبوا على القائد عمرو بن العاص أنه لم يحارب الروم بسرعه حينما خرجوا من الإسكندرية ، وأمر برد المتاع والأموال لأصحابها من أقباط من مصر.

---

(١) ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠٠٢ ج٤، ص ٩٩٧؛ سيدة إسماعيل كاشف، المسلمون والأقباط منذ الفتح العربي إلى نهاية عصر المماليك، بحث ضمن أعمال ندوة لجنة التاريخ الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان (الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور)، الهيئة العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٢م، ص١١٩.

(٢) ـ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٣٠٢.

(٣) ـ سعاد ماهر، مساجد مِصْر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون. ج٣، ص٩٧.

(٤) – فاطمة مصطفي عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة ٢٠٠٠م، ج١ ص ٩٨.

(٥) ـ ألفرد ج بتلر : فتح العرب لِمِصْرْ،ترجمة محمد فريد أبو حديد، مدبولي،ط٢، ١٩٩٦م، ص ٤٨٥.

ولما جاء أهل القرى القريبة من المدينة يطلبون متاعهم وأموالهم التي استولى عليها مانويل الخصي(٢٥هـ / ٦٤٥م) عندما جاء بحملته وكان قد استولى على الإسكندرية ثم انتصر المسلمون عليه وفتحوا الإسكندرية الفتح الثاني وأخذوا هذه الأمتعة وهذه الأموال، ما كان من عمرو بن العاص إلا أن رد عليهم ما عرفوه من أموالهم وأقاموا عليه البينة، بل إن التواصل بين عمرو بن العاص وأهل هذه القرى يزداد ليصل إلى النقد والعتاب فقالوا لعـمرو: ((ما حل لك ما صنعت بنا، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك ولم ننقض)) فندم عمرو وقال: ((يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من إسكندرية))[١].

وتبدو حسن معاملة المسلمين للأقباط وعدالة المسلمين في استعانة المسلمين بالقبط في إدارة المدينة ، فكان بجوار الحاكم المسلم آخر قبطي مختص بالشئون الإدارية للمدينة، يقول المقريزي:إن العرب جعلوا((في كل كورة كاهنا يُدبّر أمرها، وصاحب حرب))[٢] ، ولا شك أن الكاهن مصري قبطي فمن العرف عدم إطلاق لفظ "كاهن" على المسلم .

أما ما ورد من منع بعض الخلفاء الأقباط من الوظائف، فإن ذلك حالة مؤقتة لم تستمر كثيرا حيث سرعان ما تنسى وتتغير هذه القرارات[٣] .

وإن وقع على الأقباط بعض الظلم والشدائد فقد كان ذلك على المقيمين بالمدينة جميعا دون تفرقة بين الطوائف المختلفة بما فيهم المسلمين.

وعمت الحرية والعدالة والمساواة مصر فلا تفرقة بين أحد من الناس، حتى أن الغريب إذا

---

(١) ـ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٣٠٢.

(٢) ـــ المقريزي، الخطط، ج١، ص ٢٠١؛ صفاء حافظ عبد الفتاح : الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة ،المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة،١٩٩١م .، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٣) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة ج٢ ص ١٢١؛ فاطمة عامر تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، ج١، ص ١١٧ ؛ صفاء عبد الفتاح:الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة، ص ٣١.

أثبت كفايته ارتقى أعلى الدرجات؛

فقد اختار الأقباط البطرك سيمون[١] (٧٠ـ ٨٢هـ/ ٦٨٩ـ ٧٠١م) ليكون بطركا لمدينة الإسكندرية، وهو الأمر الذى كان مثار تعجب الوالي عبد العزيز بن مروان من هذا الاختيار حتى قال لهم :((فما تقدرون أنتم أن تقيموا واحدا من بلادكم))، ثم لم يلبث أن أقره[٢].

ويتعجب بعض المستشرقين من كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فقد كان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام[٣] .

فكان منهم حكام الكور والقرى وجامعوا الخراج مدة من الزمن، وكانوا يستخدمون اللغة المصرية في سجلات الدولة، حتى ولاية عبدالله بن عبدالملك (٨٦ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ٧٠٨م) الذي أمر أن تكتب الدواوين بالعربية[٤]، فترك بعض الأقباط وظائفهم .

وفي أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي (٩٩ـ ١٠١هـ/ ٧١٧ـ٧١٩م) أمر بإبعادهم، ثم

---

(١) ـ البطرك سيمون : من أصل سرياني و كان على مذهب الكنيسة المصرية، وكانت توليته منصب البطركية أحد أسباب الوفاق بين الكنيسة المصرية والسريانية في هذا الوقت، ولكن بسبب توبيخه الشديد للأساقفة وانعزاله عنهم دبروا له مؤامرة فمات مسموما ـ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركه ج٢، ص ٥٣ـ ٥٩؛منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية،ص ٢٩٧ ـ ٣٠١.

(٢) ـ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركه ج٢ ص ٥١-٥٩؛ايريس حبيب المصري،قصة الكنيسة القبطية،الكتاب الثاني ص٢٨٣ ؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٩٨.

(٣) ـ آدم متز، آدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، المركز القومي للترجمة ، سنة ٢٠٠٨م ،ص٨٣.

(٤) ـ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢٢٣؛ الكندي، الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف المِصْرْي)ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، كتاب الولاة و كتاب القضاة ، بتحقيق الأميرال روفن كست ، طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة المصورة عن طبعة بيروت ١٩٠٨م،ص ٥٨ ـ ٥٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٦٤.

أصدر الخليفة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ـ ٨٦١م) أمراً آخراَ أن لا يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين [١]، وكانت الحجة في ذلك هو محاربة تسلط أهل الذمة على المسلمين[٢]. أي أن أهل الذمة لما تولوا المناصب تسلطوا على المسلمين بالظلم وهضم الحقوق مما استدعى الخليفة أن يصدر قرارا بإبعادهم.

وتكرار صدور أمر إبعاد الأقباط عن الوظائف تدل على أن تنفيذ أوامر الإبعاد لم يكن كاملا، أو أنه نُفذ بعض الوقت ثم طواه النسيان، وأن أهل الذمة (القبط) تسلطوا على المسلمين فلم يحكموا بالعدل الذي تمتعوا به في ظل حكم المسلمين من يوم فتحهم لمصر.

(١) ـ الطبري(محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ابو جعفر، ت٣١٠هـ)،تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ،ج٩، ص ١٧٢

(٢) ـ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٨٤.

المحور الثالث

بعض ولاة مصر وعدالتهم

"قُرة بن شُرَيْك"(٩٠ـ٩٦هـ/ ٧٠٨ـ ٧١٤م) :ـ كان والياً عظيما اهتم بعمله ، وقد اكتشف الأثريون رسائل أرسلها هذا الوالي المدقق في كل شأنه.

وهذه بعض رسائله إلى صاحب كورة إِشْقُوَه ما يدل على اهتمامه بالزراعة.

ففي رسالته الأولى يأمر" قُرّة "صاحب الكورة أن يأمر أهل الأرض بزراعتها، ثم يبين له أن عمران الأرض في زراعتها .

وفي الرسالة الثانية يأمر "قُرّة" صاحب الكورة أن يمنع رجاله من ظلم أهل الأرض حتى لا تُهمل الأرض وتصير خرابا.

وفي الرسالة الثالثة يأمره بجمع العمال لصيانة السدود والقنوات حتى تُروى كل الأراضي عند مجيء الفيضان.

يقول في الأولى: «فمر أهل أرضك بالزراعة، وحثهم حثا عليها، وتعهد ذلك منهم، وابعث عليه من يتّبع فيه أمرك .... فإن الأرض إذا زُرِعَت عُمُرَتْ»(١).

ويقول في الثانية (واحجر عمّالك ونفسك عن ظلم أهل الأرض؛ فإن الأرض لا صبر لها على الظلم ولا بقاء. وإذا أتى أهلَ الأرض الظلمُ والإضاعة من قبل من يلي أمرهم فإن ذلك خرابهم»(٢).

و يقول في الثالثة (و اجمع الأجراء بآلاتهم، واعهد إليهم أن يعملوا على إعادة بناء السّدود

(١) ـ جاسر بن خليل أبو صفية: برديات قُرَّة بن شَريك العبسي، مركز الملك فيصل للبحوث، طبعة أولى،٢٠٠٤م. ، ص ٧٠.

(٢) ـ جاسر بن خليل أبو صفية: برديات قُرَّة بن شَريك العبسي، ص٦٤.

والقنوات الزراعية في كورتك حتى لا يبقى فدان واحد دون سقي عند حدوث فيضان)[١]

وإذا كانت هذه الرسائل التي وصلت إلى أيدي المؤرخين عبر التاريخ من "والي مصر" إلى صاحب كورة أشقوة[٢]،وهذه الكورة صغيرة في جنوب مصر

؛ فلا شك أن هذا الوالي وغيره أرسل رسائل إلى كل حكام البلاد، بل ربما ذهب بنفسه، واهتم بكل هذه الأمور وفي مقدمتها العدالة بين جميع الناس.

وقد طبقت العدالة في كل المجالات ووضع لها ضوابط، واهتم بها المسلمون، ومن هذه المجالات مجال البيع والشراء، فحرص المسلمون على وضع مكيلة خاصة يكال بها القمح المسلوق فلا يقع ظلم على بائع أو مشتري.

وقد حفظ متحف الفن الإسلامي مكيلة خاصة بعيار القمح المسلوق (البليلة) وهي مكيلة من الزجاج الأخضر قطرها (٣٩مم) لونها أخضر يميل إلى الزرقة تحمل رقم سجل (٨٩/ ١٤٣١٧) تنسب إلى أسامه بن زيد عامل خراج مصر في العهد الأموي (٩٦ ـ٩٩هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧م) ورد بالمكيلة كتابة عربية من (٤ سطور) بهذا النص (أمر أسامة بن زيد مكيلة قمح المسلوق)[٣] .

ويكتب قرة بن شريك إلى أحد عماله يطلب منه أخذ الحق للمظلومين وعدم الظلم[٤]، الأمر

(١) ـــ جاسر بن خليل أبو صفية:برديات قُرَّة بن شَريك العبسي، ص ٢٨٩ .

(٢) ـــ إشقوة: من المدن القديمة وهي قاعدة القسم العاشر في الوجه القبلي، واسمها العربي إشقوة، وهي الآن تابعة لمركز طما ، ويطلق عليها كوم إشقاو، محافظة سوهاج . محمد رمزي،القاموس الجغرافي للبلاد المِصْرْية، الهيئة المِصْرْية العامة للكتاب ، بدون ، سنة ١٩٩٤م، ج٤، ص١٣٦ .

(٣) ـ سعيد مغاوري محمد، بحوث ودراسات في البرديات العربية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، بدون، سنة ٢٠٠٩م، ج١، ص ٨٣ .

(٤) ـ جاسر بن خليل أبو صفية، برديات قرة بن شريك، ص ٦٨ .

الذى أوجد مناخا صالحا للتقدم والرقي في شتى المجالات ومنها الصناعة .

ولم تتدخل الدولة الإسلامية في حركة التجارة في الأسواق إلا بالقدر الذى يحفظ الحركة التجارية وفق الضوابط الشرعية التي قررها الإسلام في ضوابط البيع والشراء وفي مراقبة الأسواق، فقد سارت التجارة وفق قانون العرض والطلب، فلا يتدخل الوالي في تحديد سعر أى سلعة في الأسواق، وإنما يُعاقب من يحتكر ويحبس السلعة حتى يرتفع ثمنها، وفي ذلك تطبيق للعدالة حتى لا يضار أفراد المجتمع من ارتفاع الأسعار، ومنع السلع.

ففي بعض رسائل قُرة بن شُريك يقول:

« وأيم الله لا أنبأن برجل حبس طعامه أن يبيعه إلا أنهبته، فانظر، فمن كان بأرضك من التجار الذين يشترون الأطعمة ويجمعونها، فمرهم فليبيعوا طعامهم، ومر كل تاجر فليحمل نصف ما عنده من الطعام إلى الفسطاط »[١]

وفي بردية أخرى يقول عن القمح: « فإني وضعت عنهم مكسه، فليبيعوه بالفسطاط، فإني قد خفت غلا الطعام بالفسطاط ». تقله وأهينه وأقتله »[٢]

- وكان قرة يهتم بدار صناعة السفن، وبالأسطول، وبما يلزم لهما من أدوات صناعة وصناع مهرة من نجارين وحدادين وجنود وبحارة، وزيادة على ذلك العدالة في حقوق العمال خاصة أجور العمال التي كان يطلق عليها أرزاق، فلم يظلمهم، بل أمر بتسليمهم أجرهم وهذا ما تدل عليه أحد البرديات وفيها:(فإني أمرت بقسمة نواتية سفن مصر، وسفن الشام، وبأرزاق من يركب فيها من المقاتلة فمر أهل أرضك فليتقدموا في صنعة الخبز، فإنه لا يصلح الجيوش إلا الخبز الطيب)[٣] ،

(١) ـ السابق،ص ١٣٢ .

(٢) ـ السابق، ص ١٣٥ .

(٣) ــ جاسر خليل أبو صفية، برديات قرة بن شريك،ص ٧٥، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أمير المؤمنين يأمر والي مصر بناء حظيرة فراخ لمصرية

العدالة التي طبقها المسلمون ليست لغرض دنيوي بل طبق المسلمون العدالة تدينا، وإيمانا بمبدأ العدالة التي أرساها الإسلام بين جميع الخلق، وليس بين المسلمين فقط، ومن ذلك ما حدث أن قام والي مصر بتنفيذ أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء حائط فرتونة السوداء.

فقد أرسلت للخليفة تطلب حماية لبيتها من السرقة، والعجب لم تكن حمايه لأموال أو جواهر بل حماية لبعض الدجاج، فلم يهمل الخليفة الرسالة.

ولما جاء الأمر للوالي من الخليفة لم يكلف غيره للقيام بالمهمة، فقام والي مصر بنفسه، ووقف على الصناع حتى حصنوا بيت فرتونة السوداء ، وحماية دجاجها .

هذه القصة يقصها المؤرخ المصري ابن عبد الحكم يقول:ـ

ـــــ كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحد من الناس إذا خرج كتابا إلا حمله فخرج بريد من مصر فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتابا تذكر فيه أن لها حائطا قصيرا وأنه يقتحم عليها منه فيسرق دجاجها :ـ

فكتب الخليفة الجواب في رسالة للعجوز :(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك وأنه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك .

فقد كتبت لك كتابا إلى أيوب بن شرحبيل وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها آمره أن يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله والسلام)

وكتب إلى أيوب بن شرحبيل:ـ

(من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل أما بعد.. فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إليّ تذكر قصر حائطها وأنه يسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها)

فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها وإذا هي سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصنه لها(١).

وهذا من أجمل مثال للعدالة التي نعمت بها في مصر في ظلال القرن الأول للفتح الإسلامي، ومما جعل الإسلام ينتشر بين المصريين العدالة التي لا تفرق بين قوي وضعيف، ولا بين صغير وكبير، أو من له منفعة للدولة ومن ليس منفعة.

فقيه مصر يمنع هدم الكنائس: ــ

ومن أروع أمثلة للعدالة ما حدث من فقيه مصر الليث بن سعد الذي عارض والي مصر في وقته، وقد قرر هذا الوالي هدم الكنائس المحدثة في أيام دولة الإسلام.

فقد جاء علي بن سليمان واليا علي مصر (١٦٩ ـ ١٧١هـ / ٧٨٥ـ ٧٨٧م) فهدم الكنائس المحدثة أي التي بُنيت بعد الفتح الإسلامي لمصر وكان قد عرض عليه الأقباط خمسين ألف دينار ليتركها فرفض(٢).

وقد أنكر الليث بن سعد هدم الكنائس لأن هدمها يُخالف وصية رسول اللهﷺ ((استوصوا بالقبط خيرا)،

وأن هذه الكنائس قد بُنيت والصحابة بمصر ممن شاركوا في الفتح

(١) ــ ابن عبد الحكم ب (عبد الله أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، ت ٢١٤هـ): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، المحقق: أحمد عبيد، الناشر: عالم الكتب – بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج١، ص ٦٢ـــ٦٣

(٢) ـ الكندي، كتاب الولاة، ص ١٣١؛ ابن تغرى بردى(جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مِصْرْ والقاهِرة ، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٧م ج ٢، ص ٦٢

ثم ما لبث أن عُزل هذا الوالي وجاء وال جديد ، وهو موسى بن عيسى(١٧١ـ ١٧٢هـ / ٧٨٧ـ ٧٨٨م) والياً على مصر فأشار عليه الليث بالسماح بإعادة بناء ما هدم من كنائس بل والموافقة على بناء كنائس جديدة كلما طالب الأقباط بذلك[١].

وكان البطرك في ذلك الوقت هو البطرك يوحنا (١٥٩ـ ١٨٣هـ / ٧٧٥ـ ٧٩٩م) فاهتم ببناء البيع ، و الكنائس ، وبنى مسكنا للبطرك ولم يتوقف الأمر على ذلك، بل كان يهتم بزخرفة وتزيين ما يبنيه، وأقام تذكاراً عظيماً بمدينة الإسكندرية وسلم له الأقباط أموالهم عن طيب خاطر لبناء البيعة ، والكنائس ، والاهتمام بعمارتها وبناء بعض المساكن في محيط البيعة، وجعل الشماس "مرقسا" مشرفا على الصناع والفعلة وأعمال البناء وأعطاه كل ما يحتاجه، ورغم مكائد بعض المخالفين من الخلقيدونيين للبطرك عند المسلمين فقد أكمل البناء في خمس سنين[٢].

الأقباط يرتضون حكم الوالي في اختيار البطرك:ـــ

والعدالة تدخل في كل مناحي الحياة، وفي كل المجالات، ولعدالة المسلمين كان الأقباط يطلبون حكم الوالي المسلم في شئونهم الدينية ، وخاصة في تولية منصب البطركية .

وإن كان الولاة لا يتدخلون في شؤون الكنيسة، ولا شئون الأقباط الدينية،فإن اهتمام الخلافة

(١) ـ الكندي، كتاب الولاة، ص ١٣٢ ؛ الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،ت ٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر،المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ج ١، ص ٢٦٧ ؛الذهبي ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط التاسعة،سنة١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.، ج ١١، ص ٣٠٤ ؛ عبدالرحمن الشرقاوي، أئمة الفقه التسعة ، دار الشروق، ط أولى ، ١٩٩١م ص ١١١ .

(٢) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٢، ص ٥٧٨ ـ٥٩١ ؛ منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٣٢٥ـ ٣٢٦

بمصلحة رعاياها جعلها تشاركهم العديد من المسائل الهامة ، وتطبيق العدالة بالنسبة لهم، ومن ذلك قضية اختيار بابا الإسكندرية والتي كانت دائماً محل خلاف بين أقباط مصر، حتى أنهم كانوا يلجؤون إلى الوالي، وأحياناً إلى الخليفة نفسه لحسم الخلاف؛ فكان الأمير يحرص على أن يكون المرشح مستحقا لهذا المنصب وإلا ألغى الترشيح واختار صاحب الحق، كل ذلك حرصاً على نشر العدالة و الاستقرار، وترسيخا للنّظام وعدم إعطاء الفرصة للفوضى والاختلاف.

ولعل عبد العزيز بن مروان كان من أكثر ولاة مصر حرصاً على هذا الأمر حتى إنه أشرف بنفسه على عملية اختيار البطرك، فقد كان تأثير البطرك كبيرا في سياسة الإسكندرية ومصر؛ حيث يمتد سلطان بطريركية الإسكندرية ليشمل مصر كلها ، بل وصل إلى الحبشة[1] ، والهند.

فقد حدث أن اختار الأساقفة شماسا يسمى جرجة ليكون بطركا – وكان النظام المعمول به أن يوصي البطرك السابق بمن يأتي بعده، وعلم الأمير بوجود كتاب اختار فيه البطرك يوحنا من يخلفه على كرسي البطريركية، فغضب الأمير عبد العزيز وأبطل اختيار جرجه وأمر بتقديم

(١) ـــ فقد كان لكنيسة الإسكندرية سلطانا روحيا عظيما تعدى حدود الإسكندرية ومصر كلها ؛ فقد وقعت حروب بين ملك الحبشة والنوبة فكتب البطرك اسحق (٦٦ -٦٩هـ/ ٦٨٦-٦٨٩م) إليهما أن يصطلحا ، و أهل الهند أرسلوا إلى البطرك سيمون (٦٩- ٨٢هـ / ٦٨٩-٧٠١م) بطلب أن يعين لهم أسقفا لكن البطرك رفض حتى يأمر أمير مصر بذلك. ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركه، ج٢،ص ٤٨ ،ص ٧٤ـ ٧٥ ؛ ايريس حبيب المصري،قصة الكنيسة القبطية،الكتاب الثاني، ص ٢٨٥ ـ٢٨٦ ؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٩٧ ، ص ٣٠٠.

إسحق بحسب ما جاء في وصية يوحنا[١].

وبعد موت البطرك اسحق (٦٧ـ٧٠هـ / ٦٨٦ - ٦٨٩م) أيضا حدث أن اختار الأساقفة الأب يوحنا وذهبوا إلى الوالي عبد العزيز لتقديم التحية كالعادة لكن أحد الأساقفة اعترض ورشح الأب (سيمون)وكان سريانيا وإذا بالجميع يوافق عليه فعلق الأمير عبد العزيز عليهم بقوله: (ما تقدرون أنتم أن تقيموا واحداً من بلادكم) ثم أمضى الأمير اختيارهم[٢].

وأحياناً يرفض الشعب القبطي الاختيار إذا كان فيه خطأ ؛ ففي أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك[٣] (٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥ـ ٧١٤م) وصل طبيب سكندري اسمه "أنوبيس" إلى دمشق وطلب من الخليفة أن يجعله بطركا للإسكندرية فقبل طلبه؛ لكن أهل الإسكندرية رفضوه، فندم هذا الطبيب ومضى إلى البطرك الأكسندروس واعتذر إليه فقبل عذره[٤]، وللعدالة لم يرفض الخليفة تولية البطرك الأكسندروس ، رغم أن الخليفة كان قد قبل تولية الطبيب في السابق .

(١) ـ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركه نفسه ج٢ ص ٤٣ – ٤٧؛ سيدة الكاشف، عبد العزيز بن مروان ص ١٥٢.

(٢) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركه ج٢ ص ٥١-٥٩؛ ايريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثاني ص٢٨٣؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٩٨.

(٣) – الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، بنا المسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد دمشق، وفي أيامه فتحت الأندلس والهند وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع، كانت خلافته تسع سنين وأشهر، توفي بدير مروان ودفن بالباب الصغير وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٣، ص ١٦٤ـ ١٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩١ ـ ٢٩٣.

(٤) ـ ساويرس بن المقفع ج٢ ص ١٤٨-١٥٠؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٣١٥.

وفي ولاية حفص بن الوليد[١]الثانية حضر إليه بعض الأساقفة والكهنة فأذن لهم في اختيار بطرك فاجتمعوا وبعد مناقشات اتفقوا على اختيار" ميخايل "(١٢١ -١٥٠هـ/ ٧٣٩-٧٦٧م) بطركاً لهم[٢] ، فكان الوالي هو المراقب للمناقشات لتتم العدالة في الاختيار .

وحادثة أخرى تدل على حرص ولاة الخلافة العباسية على نشر الطمأنينة ومحاربة الفوضى ؛ فقد مات البطرك سيمون (٢١٥-٢١٦هـ/ ٨٣٠- ٨٣١م) فطمع في البطركية رجل فاحش الثراء يدعى" ابن اندونة " وكان لا يصلح لتولي كرسي البطركية لأنه متزوجاً، فوعد هذا الأخير حاكم الإسكندرية عبد الله بن يزيد[٣] بألف دينار إذا أعانه على تحقيق هدفه، فأصر الأساقفة على عدم صلاحيته وإلا ذهبوا إلى والي مصر وكان في ذلك الوقت عيسى بن منصور(٢١٦ـ٢١٧هـ/ ٨٣١ـ ٨٣٢م)،وانتهى الأمر باختيار الأنبا "يوساب" بطركا (٢١٦ - ٢٣٥ / ٨٣٠ - ٨٤٩م)[٤] ولكن هذه الحادثة وغيرها جعلت الخليفة المأمون عندما جاء مصر ـ ليخمد الثورة التي قامت ـ يسخط على والي مصر هذا ويقول له: لم يكن هذا

(١) ـ حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي، أمير مصر من جهة هشام بن عبد الملك جمعتين وقيل أربعين يوما ثم وليها ثانية باستخلاف حنظلة بن صفوان فأقره الوليد بن يزيد ثم وليها مرة ثالثة في خلافة مروان بن محمد أكرهه الجند على ولايتها، روى عنه الليث ويزيد بن أبي حبيب، قتل سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٤٤٦ـ ٤٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٢ ص ٢٤٣ ـ ٢٦٠؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٣١٧.

(٣) ـــ عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيباني بعثه الأفشين القائد العباسي على الإسكندرية سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١م. الكندي، كتاب الولاة، ص١٩١، المقريزي، الخطط، ج١، ص ٤٦٩.

(٤) – ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة ج٢ ص ٧٨٩- ٨٠٠؛ الكندي، كتاب الولاة، ص ١٩٠.

الحدث العظيم إلا من فِعلك وفِعل عُمَّالك حملتم الناس ما لايطيقون[١] .

وعادة ما كان يكتب الخليفة لبابا الإسكندرية سجلاً بتوليته منصب البطركية، فإذا جاء خليفة جديد، طلب البطرك منه تجديد السجل، حتى إذا ما اعترض أحد على بطركيته أو حاول تولية غيره أظهر هذه السجلات، ومن البطاركة الذين حازوا هذه النوع من السجلات البطرك" يوساب" الذي حظي باعتراف المأمون و المعتصم و الواثق[٢].

وكانت العلاقة بين الولاة والبطاركة تتسم بقدر كبير من الاحترام؛ فقد كان العرف أن يقوم بطرك الإسكندرية بالتسليم على الوالي الجديد وتهنئته بولايته مثلما حدث عندما تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان (٨٦ -٩٠هـ/ ٧٠٥م -٧٠٩م) مصر خرج البطرك الأكسندروس (٨٦- ١١٢هـ/ ٧٠٥-٧٣٠م) ليسلم عليه، كذلك عند ما تولى قرة بن شريك إمرة مصر (٩٠-٩٦ هـ/ ٧٠٩م-٧١٥م) جاء البطرك الكسندروس ليسلم عليه ويهنئه بالولاية[٣]،فجرت العادة بذلك عند قدوم كل وال جديد لمصر[٤].

رغم أن المسلمين لا يهتمون بالخلافات الدينية بين الطوائف المسيحية فلم يتدخلوا في شئونهم الدينية؛ إذ عمل عمرو بن العاص على إقرار مبدأ الحرية الدينية ورفع الاضطهاد عن القبط، وأظل كل الأقباط بعدله وحماهم بحسن تدبيره[٥].

(١) ـ الكندي، كتاب الولاة، ص ١٩٢.

(٢) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٢، ص ٨٩٢ ـ ٨٩٣.

(٣) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة ج٢، ص١٢٣.

(٤) - ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٢، ص ١١٤؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٣١٣.

(٥) ـ ول وايريل ديوَرانت، قصة الحضارة ـ عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، دار الجيل ـ بيروت،ج١٣،ص ٢٦٢ ناصر الأنصاري،المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، دار الشروق،ط الثانية،سنة

والسبب في هذه المعاملة هو روح الإسلام الحقة التي حفّزت المسلمين لاتباع سياسة التسامح الديني مع المصريين جميعاً، فلم يتبعوا مبدأ " فرّق تسد" ؛ وإذا كان المسلمون قد تسامحوا مع الأقباط ، ولم يحاولوا التدخل فيما يدور بين طوائفهم من خلاف، فإن الصراع بين الطوائف المسيحية لم ينته بتحول المصريين إلى رعايا للدولة الإسلامية، بل حاول كل فريق منهم الفوز برضا الولاة أو الخلافة لتحقيق مكاسب على حساب الفريق الآخر، والأمثلة على ذلك كثيرة:-

ففي عهد الخليفة يزيد بن معاوية(٦٠- ٦٤هـ/ ٦٧٩ - ٦٨٣م) عندما تولى إقليم الإسكندرية والبحيرة ومريوط وما يليها رجل من النصارى الملكانيين يدعى (تاودرس)[١] وكان على خلاف مع القبط الأرثوذكس والبطرك " أغاثون" (٤٢ -٦٩هـ/ ٦٦٢ - ٦٨٩م) بطرك الإسكندرية فاستغل منصبه في اضطهاد إخوانه الأرثوذكس وزاد عليهم في الجزية، وبعد موت " أغاثون" حَجَرَ على أمواله وأموال الكنائس القبطية[٢].

وفي ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى[٣] (١٣٢ -١٣٣هـ / ٧٥٠-٧٥١م) ادعى قوم من

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٩٦ ؛ نخبة من الباحثين تحت إشراف قاسم عبده قاسم، أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ص ١٧٣.

(١) ـ ساويرس بن المقفع تاريخ البطاركة، ج٢، ص ٦؛ أنطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، ص١٠٥

(٢) ـ ساويرس بن المقفع، السابق، ج٢، ص ١٧؛ فاطمة مصطفي عامر، أهل الذمة، ج١، ص ١١٥.

(٣) ـ عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي، أمير مصر، وفد على الخليفة الأموي مروان بن محمد فولاه مصر وكان من أخطب الناس، أول من جعل المنابر في الكور وإنما كانوا يخطبون على العصي إلى جانب القبلة، له أخبار حسنة كثيرة، ولما دخل العباسيون مصر أكرمه صالح بن علي العباسي لأنه لم يفحش في حق بني العباس، وخرج به إلى العراق فولاه أبو جعفر فارس. لكندي، كتاب الولاة،

الملكانيين[١] أن الأقباط أخذوا منهم كنيسة وطلبوا ردها إليهم، فجمعهم والي مصر وأمر كل فريق بكتابة حجته

فظهر أن الحق في جانب اليعقوبية(الأرثوذكس)[٢] ، فحكم لهم الوالي بملكية الكنيسة[٣].

وعندما جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز[٤] (٩٩ -١٠١هـ/ ٧١٨ - ٧٢٠م) تغير الوضع فقد

ص٩٣ـ ٩٤ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص١٦٧ـ١٦٩ ؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٣١٦ ـ٣١٧.

(١) ـ الملكانيين :هم من إتبعوا رأى ملوك الروم في طبيعة المسيح أنه جسد، وأنه جوهَران، وطبيعتان، ومشيئتان، وقُنُوم واحد، فقالوا إن الله ثلاثة أقانيم ، فصرحوا بالتثليث وقالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة ولكون هذا الرأي من الملك أطلق عليهم ملكانيين.الشهر ستاني (محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ،الملل والنحل ،تحقيق محمد سيد السكري ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص ٢٢٢؛ المقريزي، الخطط، ج ٤، ص٩٨٨؛ منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٥٨.

(٢) ـ اليعقوبية : هم الذين قالوا بالأقانيم الثلاثة ، وأضافوا أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصاؤ الإله هو المسيح ، وهوالظاهر بجسدة ، وهوأقنوم واحد إلا أنه من جوهرين ، وطبيعة واحدة من طبيعتين ، وأن المسيح قبل التجسد من طبيعتين و بعد التجسد طبيعة واحدة ، وقيل في سبب تسميتهم باليعقوبية تكريما ليعقوب البردعي الذي دافع عن المذهب الأرثوذكسي . الشهر ستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٢٦؛ ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ت ٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)، هداية الحيارى في أجوبة النصارى، دار نشر الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ج ١ ، ص ١٧٩؛ ؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٧٣.

(٣) ـ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٢، ص٢٧٤ ـ ص٢٨٨؛ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٣١٨.

(٤) ـــ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص أمير المؤمنين بويع له بالخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن أ بيه وعن أنس بن مالك وعروة

أمرَ بإبعاد غير المسلمين من وظائف الدولة فاستجاب والي مصر أيوب بن شرحبيل[١] (٩٩-١٠١هـ / ٧١٨ - ٧٢٠م) لأمر الخليفة[٢].ولكن هذه السياسة لم تستمر طويلا فقد عادت الأوضاع لما كانت عليه قبل خلافة عمر بن عبد العزيز، واستمرت سياسة استخدام الذميين في الإدارة وأعمال الدواوين، فكان من بينهم الكتاب ورؤساء الأقاليم طيلة العصر الأموي، بل وفي العصر العباسي أيضاً:-

ففي عصر الخليفة العباسي المأمون (١٩٧-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) تحسنت أحوال الذميين، ولما قدم إلى مصر سنة ٢١٧هـ تقدم إليه أحد رجال القبط ويسمى "بكام" وطلب من الخليفة

بن الزبير، وعنه ابناه عبد الله وعبد العزيز والزهري و محمد بن المنكدر، كان ثقة مأمون الحديث له فقة وعلم و ورع وروى حديث كثير وكان امام عدل، مات ١٠١هـ / ٧٢٠م ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٥، ص ١٢٦ ـ ٢٧٤ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ١١٤ ـ ١٤٨ ؛ وانظر ترجمته كاملة أبي محمد عبد الله بن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه، تحقيق احمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط سادسة، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

(١) ـ أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح الحميري روى عن عمر بن عبد العزيز وعنه أبو قبيل و عبد الرحمن بن مهران،وفي أيام ولايته على مصر أخذ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وإصلاح الأمور، و زيد في عطايا الناس، وعطلت حانات الخمر بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وحسنت أحوال الديار المصرية، مات في رمضان سنة١٠١هـ/ ٧٢٠م الكندي، كتاب الولاة، ص ٦٧ـ ٦٩؛ الذهبي،تاريخ الإسلام،ج٧،ص٣٠؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج١،ص ٢٣٧ـ٢٣٨.

(٢) ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٣١؛ ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم بيروت، ط أولى، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ج١، ص ٤٥٧ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة ج٢ ص ١٦٣.

أن يوليه كورة بورة[١] فعرض عليه المأمون اعتناق الإسلام حتى يعهد إليه بهذه الولاية، فقال للخليفة«لأمير المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم أفلا يكون له واحد نصراني»[٢]

وكما كانت الإسكندرية مركز المسيحية المصرية، كانت كذلك المركز الرئيسي لليهود في مصر قبل الفتح الإسلامي؛ وقد تركهم المسلمون يقيمون فيها ولم يتعرضوا لهم، يقول يوحنا النقيوسي :(وكفَّ المسلمون عن حرب الروم،....،ولم يقربوا شيئاً ما من عمل المسيحيين،وتركوا العبرانيين(اليهود) يقيمون بمدينة إسكندرية)[٣].

ولقد آثر اليهود سياسة الحياد التام داخل الإسكندرية وخارجها، خاصة وأنهم لم يكونوا قوة عسكرية يُحسب حسابها، وقاموا بدفع الجزية التي فرضت عليهم[٤]، وان كان هناك من يرّجح أن اليهود كانوا عوناً للمسلمين داخل مصر خاصة في الإسكندرية[٥].

(١) – كورة بورة :من المدن المصرية القديمة تقع قرب دمياط،كانت مشهورة بصناعة الأقمشة، وهي الآن القرية المعروفة بكفر البطيخ لكثرة زراعة البطيخ في أراضيها،و تتبع محافظة دمياط . أنظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي، القسم الأول، ص ١٧٦-١٧٩.

(٢) – يوحنا بن البطريق، التاريخ المجموع، ص ٥٨.

(٣) ـ تاريخ مصر، ص٢١٢؛ قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م ص١١ .

(٤) – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٦٦ – ١٦٧؛ فاطمة مصطفي عامر، تاريخ أهل الذمة،ج١ ص ١٠٤.

(٥) – صلاح الدين محمد نواد : قراءة جديد في الفتح الإسلامي لمصر وموقف الأقباط واليهود منه، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت، ص٩٤.

الخاتمـــة

وبعد هذه الرحلة التاريخية التي تذكر شذرات من نماذج عدالة ولاة المسلمين مع قبط مصر الذين بقوا على دينهم أختم بحثي بهذه النقاط الموجزة

١ -العدالة في الإسلام قيمة مطلقة، لا تنظر لجنس دون جنس أو دين ولون دون آخر.

٢- كان التطبيق الإسلامي للعدالة مع غير المسلمين في مصر نموذجا يحتذى، وقد أشار إليه عدد من المؤرخين غير المسلمين.

٣-من أروع نماذج العدل أن يحتكم غير المسلمين إلى الوالي المسلم في أخص شؤون دينهم وهو اختيار البطريرك؛ وما ذاك إلا لثقتهم في تحريه الصواب.

٤- إذا فكر الوالي أن يظلم أو يتعدى على دور عبادة غير المسلمين فإن فقهاء البلدة وعلماءها كانوا يقفون له بالمرصاد.

٥-وفيما ذكرت من وقائع تاريخية ثابتة وموثقة دليل على أن العدالة بل والإحسان كان متجسدا في تعاملات الولاة المسلمين مع قبط مصر الذين بقوا على دينهم؛ فلم يكن ذلك حائلا دون توليهم المناصب وتكوينهم الثروات.

وبعد..

فهذا غيض من فيض ذخرت به مراجع التاريخ الأصيلة، وهو يبين ولا شك أن قيمة العدالة كانت أصلا لم يتم تجاوزه إلا إلى الإحسان في غالب الأمر، ويدل أيضا على أن أى تصرف مسيء لا يحسب على الدين أبدا، بل يتحمل وزره من قام به بدافع الجهل أو الغلو والتعصب، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابن الأثير (أبو الحسن على بن عبد الكريم الجزري) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م.

١ - الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩٤م.

ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ت ٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)،

٢ ـــ أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم بيروت، ط أولى، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

٣ ـــ هداية الحيارى في أجوبة النصارى، دار نشر الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

ابن تغرى بردى(جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م،

٤ ـــ النجوم الزاهرة في ملوك مِصْرْ والقاهِرة ، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٧م

ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي،ت٧٢٨هـ):

٥ ـــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ص٢٩

ابن عبد الحكم (عبد الله أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، ت ٢١٤هـ):

٦ ـــ سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه،المحقق: أحمد عبيد،الناشر: عالم الكتب - بيروت - لبنان،الطبعة: السادسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م،

ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المِصْرْي) ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م :

٧ ـــ فتوح مِصْرْ وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٦م.ص ٢١٩؛

ابن عساكر، ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي) ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م:

٨ ـــ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ومن حلها من الأماثل ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت ، بدون، ١٩٩٥م ،ج٤٦،ص١٦٣ .

ابن منظور (محمد بن مكرم الأفريقي المِصْرْي) ت٧١١هـ/ ١٣١١م:

٩ ـــ لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط أولى

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ / ٨٧٥م:

١٠ ـــ صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دارإحياءالتراث العربي، بيروت،كتاب الفضائل، باب" وصية النبي بأهل مِصْرْ،

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأذدي،

١١ ـــ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد،دار الفكر العربي،

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ/):

١٢ـــ مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ،نشر مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

آدم متز، آدم متز:

١٣ ـــ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، المركز القومي للترجمة ، سنة ٢٠٠٨م ،

الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، ت٤٣٠هـ):

١٤ ـــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها ، دار الكتاب العربي – بيروت،

كرم الصاوي باز ،

١٥ ـــ مصر والنوبة في عصر الولاة،

إيريس حبيب المصرى

١٦ ـــ قصة الكنيسة القبطية من سنة ٤٣٥ م ـــ٩٤٨م،الكتاب الثاني،مكتبة كنيسة .

ألفرد ج بتلر :

١٧ ـــ فتح العرب لِمِصْرْ،ترجمة محمد فريد أبو حديد، مدبولي،ط٢، ١٩٩٦م.

البخاري(محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي ، ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

١٨ ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى،سنة ١٤٢٢هـ .

البيضاوي:(ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (٦٨٥هـ)

١٩ ـــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

الترمذي (محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ،أبو عيسى،ت ٢٧٩هـ):

٢٠ ـــ سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت،سنة النشر: ١٩٩٨ م .

جاسر بن خليل أبو صفية

٢١ ـــ برديات قُرَّة بن شَريك العبسي، مركزالملك فيصل للبحوث، طبعة أولى،٢٠٠٤م.

الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،ت ٧٤٨هـ):

٢٢ ـــ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط التاسعة،سنة١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٣ ـــ العبر في خبر من غبر،المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت

ساويرس بن المقفع (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)

٢٤ ـــ مخطوطة مطبوعة تاريخ البطاركة الواردة في تاريخ مِصْرْ ، إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين ، مكتبة مدبولي ،ط أولي ،سنة ٢٠٠٦م .

سعاد ماهر،

٢٥ ـــ مساجد مِصْر وأولياؤها الصالحون،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،بدون

السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ،ت ١٣٧٦هـ) :

٢٦ ـــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

سعيد مغاوري محمد:

٢٧ ـــ بحوث ودراسات في البرديات العربية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، بدون، سنة ٢٠٠٩م،

سيدة اسماعيل كاشف

٢٨ ـــ المسلمون و الأقباط منذ الفتح العربي إلى نهاية عصر المماليك، بحث ضمن أعمال ندوة لجنة التاريخ الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان (الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور)، الهيئة العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٢م،

الشهر ستاني (محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ،

٢٩ ـــ الملل والنحل ،تحقيق محمد سيد السكري ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة١٤٠٤هـ ،

صفاء حافظ عبد الفتاح :

٣٠ ـــ الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة ،المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة،١٩٩١م .

صلاح الدين محمد نواد :

٣١ ـــ قراءة جديد في الفتح الإسلامي لمصر وموقف الأقباط واليهود منه، منشأة المعارف بالإسكندرية.

الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر ، ت٣١٠هـ):

٣٢ـــ جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ،

٣٣ـــ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ،

عبدالرحمن الشرقاوي.

٣٤ ـــ أئمة الفقه التسعة ، دار الشروق، ط أولى ، ١٩٩١م

عمر الإسكندري والميجرا .ج . سفدج،

٣٥ ـــ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، مطبعة المعارف، ط الرابعة، سنة ١٩٢٠م،.

فاطمة مصطفي عامر:

٣٦تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م،

قاسم عبده قاسم،

٣٧ ـــ اليهود في مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م

كرم الصاوي باز

٣٨ ـــ مصر والنوبة في عصر الولاة، مصر والنوبة في عصر الولاة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ٢٠٠٦م

الكندي، الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف المِصْرْي)ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م،
٣٩ ـــ كتاب الولاة و كتاب القضاة ، بتحقيق الأميرال روفن كست ، طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة المصورة عن طبعة بيروت ١٩٠٨م.
محمد رمزي
٤٠ ـــ القاموس الجغرافي للبلاد المِصْرْية، الهيئة المِصْرْية العامة للكتاب ، بدون ، سنة ١٩٩٤م،
ـــ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ / ٨٧٥م:
٤١ ـــ صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دارإحياءالتراث العربي، بيروت
المقريزي،(تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م:
٤٢ـــ المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠٠٢م.
منسى يوحنا:
٤٣ ـــ تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٣م.
ابن منده (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي ،ت٣٩٥هـ):
٤٤ ـــ معرفة الصحابة، الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
ناصر الأنصاري
٤٥ ـــ المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، دار الشروق، ط الثانية، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م،
نخبة من الباحثين تحت إشراف قاسم عبده قاسم،
٤٦ ـــ أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.

النَقْيُوسْي (يوحنا) عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي :

٤٧ ــ تاريخ مِصْرْ،ترجمة عمر صابر،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ،القاهرة٢٠٠٠م،

الهيثمي (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان ، ت ٨٠٧هـ):

٤٨ ـــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،المحقق: حسام الدين القدسي،الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة،عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

ول وايريل ديوَرانت.

٤٩ ـــ قصة الحضارة ـ عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، دار الجيل ـ بيروت،

ابن بطريق(سعيد بن بطريق) ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م .

٥٠ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ،مطبعة الآباء اليسوعيين ،سنة ١٩٠٩م .

المحتـــوى

مقدمه ٥٠٩٥

المحور الأول :ـ معنى العدل وأدلته:ـ..... ٥٠٩٦

المحور الثاني :عدالة المسلمين في فتح مصر ٥١٠٢

المحور الثالث:ـ بعض ولاة مصر وعدالتهم:ـ..... ٥١١١

الخاتمة..... ٥١٣٣

المصادر والمراجع ٥١٢٦